

كان يا ما كان في قرية عمر كان  
قصص قصيرة  
مشتاق العليّ





الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة  
موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق  
م ٢٠٠٣ - م ٢٠١٧

الإشراف العام:  
اللجنة العليا لموسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق  
مركز بيئة للأمن الفكري والثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد  
( )

البريد الإلكتروني:  
[www.baina.com](http://www.baina.com)

العراق: كربلاء المقدسة  
الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣ م

حقوق النشر محفوظة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

---

التصميم والإخراج الفني:  
م. زهير الجبوري



كان يا ما كان  
في  
قرية عُمر كان

قصص قصيرة  
مشتاق العليّ







كان يا ما كان في قرية عمر كان

## مفتتح : ...

أن تحيا بغير روح ... وتتنفس من دون أوكسجين ... ذلك  
عالم غريب لا يصدّقه العاقلون ... هكذا كانت حياتنا - أعني  
القابعين - في قرية كانت جميلة ودّسها الغرباء ... هي قرية (عمر  
كان) ...

ربما تعجز الكلمات أن تصف ما كان يعصف بنا في تلافيف  
جغرافيا لا تتقن سوى العنف ، والسخف ، والغرابة ... وليس  
فيها سوى البغض ، والبُعد ، ونكران القرابة ... ولا تسمع فيها  
سوى النحيب ، والبكاء ، ودويّ الأسلحة - خفيفها وثقلها - ،  
ولا ترى فيها سوى الخطف ، والذبح ، والتهجير ... هي قصة لا  
يمكن أن تكون إلاّ في بطون الخرافات والأساطير ، ولا يمكن أن  
يصدّقها من له عقل ...

لكنها ببساطة أحداث حصلت ... وربما ستحصل مجدّداً إن  
أعرضنا عن نقلها بكلّ أوجاعها ...

لذا إليك عزيزي القارئ فصلاً من أوجاع العراقيين الذين  
باغتهم الغدر على حين غفلة ... واغفر لي إن كان الوجد طافياً

عن الورق فيندلق على أردية مشاعرك ... لأنّ وفاءنا ، وأقلّه ،  
أن نقرأ معاناة من عانوا ، فنشاركهم التصديق بمظلوميتهم التي  
يحاول الكثيرون التغافل عنها بقصد أو من دون قصد ...

الموجوع

مشتاق العليّ

**خيانة , فمقرّ**



كان يا ما كان في قرية عمر كان

- لا تثقوا بالغرباء !!!

هكذا حدثنا العمّ علي محمّد ... ذلك الحاج المثقف الذي  
كان يهتمّ بشؤون قريتنا ؛ كبقية كبار القرية الذين يوشّي البياض  
شعرهم كما يوشّي قلوبهم ...

ففي بداية الشهر السادس كانت الأخبار تترى على قريتنا  
الغافية بسلام على جانب نينوانا الخضراء ، ونشّم فيها الخطر  
الداهم ... كان بعض أهل القرية يبثون رسائل طمأينة عن  
الغرباء الذين سيحلّون علينا قريباً ؛ بحجّة : أنّهم سيغيّرون  
الواقع المزري ببلدنا الذي أكل الفساد خواصره ، وأفنى خضار  
بساتينه الفارعة ...

كان بعض أهلنا الطيبين يصدّقون بمنافخ النار التي يصوّرها  
لنا المغرضون ( صعّادات نارية ) تزّين سماءنا بالبهجة ... لم نكن  
نعلم أن طيبتنا ستودي بنا وبشباب قريتنا ...

كان العمّ عليّ محمّد على صواب ... ونفّاخو النار على باطل  
... هذه الحقيقة التي غابت عن مخيلتنا بحكم طيبتنا المفرطة ...

ففي ١٠ / ٦ / ٢٠١٤ م ذلك التاريخ المشؤوم دخلت  
طلّاع الغرباء تدخل بين الفينة والفينة أزقة قرينتنا ( عمر كان )  
كالخفافيش ... ويسانداهم بعض سكّان قرينتنا ممّن على شاكلتهم  
الذين كُنّا نظنّهم شرّاءنا ، حتى بان سوادهم بعد حين ...

صدّق الأهالي برسائل الطمأنينة التي كانت تبثّها أذنان  
الظلاميين ومن ألّفهم من قرينتنا ... لكنّ الأمر اختلف في مطلع  
تموز من العام نفسه ... حيث كثر الذئب عن أنيابه ... وبانت  
حقيقة رعاتهم ممّن سكن قرينتنا وباع شرف العشرة بأبخس  
الأثمان ...

كان ١ / ٧ / ٢٠١٤ م تاريخاً أسود ؛ كشف لنا بياض قلوبنا  
حين صدّقنا بوعود كاذبة حولت أرضنا إلى خواء ... يباب ...  
فكان هذا التاريخ تاريخ الخيانة الكبرى في عالمنا الصغير ( قرية  
عمر كان ) ...

ولم تكن الخيانة هي مسار ذلك التاريخ ، بل شهد كذلك  
تغيّراً كبيراً في جغرافيا المكان ... فصارت قرينتنا من بستان

كان يا ما كان في قرية عمر كان

للعصافير إلى مخدع للخفافيش ... فاستحالت مرتعاً للغرباء ، بل  
لقيادات الغرباء لما تتمتع به من وسائل راحة وأمان فسوّل ذلك  
للغزاة أن يجعلوا منها مقراً لوزاراتهم الموهومة ...

وفي المنفى الوطني ، كما بات أهلنا يسمّونه في كردستان ،  
التقيت العمّ عليّ محمّد مع من نجا من أهلنا هنا فسألته عن حال  
قريتنا ؛ فأجاب وعينه تترقق بدمع وحسرات :

- كيف لي أن أقصّ لك وحالها يدمي القلب ... أتتذكر  
بيت الحاج الكبير الذي كانت القرية تنظر إليه بعين الغبطة على  
سعته وفخامة بنائه على الرغم من بساطته إن قارناه ببنية مركز  
المدينة ؟

- نعم يا عمّ ما به ؟

- تركته من توّي وهو مقرّ لخفافيش الغزاة حيث جعلوا  
منه مقراً لوزارة زراعتهم المزعومة ، ومن أين لهم وزارة للزراعة  
وهم أحرقوا الأخضر واليابس في بلدنا الآمن !!!

- يا الله !! وما اذا بعد يا عمّ ؟

- وحولوا البستان الكبير وما فيه من بيوت إلى مقرّ  
لوزارتهم السارقة التي يسمونها وزارة الزكاة ...

- الزكاة !!!

- تصوّر يسرقون بلدًا ، ويدّعون أنهم حافظون لأموال الله  
وخلقه ، هل سمعت بمهزلة أدهى من ذلك !؟

- سبحان الله !!!

تركني العمّ وهو ساهم في ملكوت نجهله ... لكنه يتمتم  
بعبارة كان يستغرب كلّ من سمعها ، ويظن أنه مجنون ، ولكن  
حين يستمع إلى قوله يتيقّن أنه العاقل الوحيد بيننا ، نعم تركني  
وهو يتمتم :

خيانة ، فمقرّ ... خيانة ، فمقرّ ...

رمضان المحنة



كان يا ما كان في قرية عمر كان

ولم نكن نعي مقصد المعجم العربي من ربط رمضان  
بالرمضاء ، هذه المعاني المبتوثة في اللغة وقواميس العربية إلا حين  
غزا الضلال ديرتنا الهادئة المفعمة بالظلال ... قرية عمر كان  
الغافية على أطراف نينوى الخضراء ...

ففي رمضان عام ٢٠١٤ ميلادية ، وهنا أتعمد الوقوع في  
الكراهة التي أشارت إليها السنة الشريفة التي تنص على عدم  
ذكر شهر رمضان من دون مفردة ( شهر ) ؛ لأنه شهر الله ، ولا  
ينبغي أن يقترن لفظ الجلالة ( الله ) وهو أرحم الراحمين بمفهومين  
قاسيين ؛ وهما : العطش والحرّ الشديدان المهلكان ... نعم أتعمد  
مخالفة هذه السنة وأقولها بلا ذكر مفردة ( الشهر ) ؛ لأن رمضان  
ذلك العام كان منتهك الحرمة بفعل الظلاميين الذين حاوطوا  
القرية في اليوم الثاني منه ، ذلك الشهر الذي سرق النهّابون بركته  
، ورحمته ، فنحر الصائمون فيه نحر الكباش ، وذبح الصابرون  
المحتسبون من الموالين ذبح الخراف ...

ففي ظهيرة ذلك اليوم المأساوي ، نعم المأساوي ، فهو ليس

كما اعتاد المسلمون على وصفه بـ ( المبارك ) ، كنت على سطح الدار لعمل منزلي معيّن فرأيت بأّم عيني ما فعله الغزاة بصائمي قريتنا ... وربما وجود بيتنا في أطراف القرية بحيث كان منعزلا عن أنظارهم هو الذي نجّاني من بطشهم على الرغم من اختطاف خمسة من إخوتي الذين كانوا خارج المنزل حينها ، ولم نعلم عنهم أي ذكر إلى يومنا هذا ...

وأنا على سطح المنزل ... رأيت انتشار الظلاميين كالحفافيش في وضح النهار ... على خلاف الحفافيش الطبيعية ...

اقتاد الظلاميون مؤمني القرية إلى مبنى المدرسة الابتدائية في قريتنا ... وفي ساحة تلك المدرسة مارسوا هوايتهم المفضلة من ضرب وشتم ونحر وتهجير ... إذ عُزل الموالين عن سواهم ، وعملوا فيهم ما عملوا ...

- نُحر في الحال كلّ من ثبت عليه جرم الولاية العملي من توعية وتبليغ وإحياء لشعائر الله في القرية ...

- شُتم وُضرب من وجدوا فيه القوة؛ كي يزجّوهم في

كان يا ما كان في قرية عمر كان

أعمالهم الشاقّة من شباب القرية الثابت عليهم الولاء ، فاقنّادوهم إلى حيث المجهول ، ولم يصل إلينا من أخبارهم شيء ، وكان إخوتي الخمسة ممن اقتيدوا إلى ذلك المجهول القاسي ...

- طُرد البقية من النسوة الكبيرات والشيوخ الهرمين ليستجمعوا ما بقي من قوتهم ويُلقوا على أطراف القرية ليواجهوا مصيرهم المظلم في تلافيف التهجير الأسود ...

هكذا كان رمضان قريننا في عام ٢٠١٤ فهو لم يكن شهراً كسالفه المبارك ، بل كان زمناً من الحرّ الشديد ، والعطش الأشدّ ، كان وقتاً لنشر مواعيد النحر للأعزّة ، ولنشر مواقيت الخطف للأحبة ، و لبذر أهلة الفراق على مجاهيل التهجير لمن بقي من المسنّين الذين تمنوا الموت على طردهم ، فالغزاة يعلمون أن نحرهم راحة لهم ، فبالغوا بالأذية باختيار الموت الأسوأ للموالين ، وهل أسوأ من مفارقة الأحبة وهم ما بين منحور ومخطوف ...



موعدكم الصبح



كان يا ما كان في قرية عمر كان

- بشار !!!

- بشار !!!

- بشار !!!

هكذا نقضي الليل نبكي على أنين وحنين الأم الثاكلة ( أم بشار ) التي لا تفتأ تنادي على ولدها المفقود ، وربما الفقيد كلَّ ليلة ... والغريب في الأمر أننا في كلَّ ليلة نبكي على ندائها الجراح لكل عاطفة ، والذابح لكل قلب ؛ فنداؤها حانٍ بشكل عجيب ، بحيث لا تملّه الآذان ولا تنزعج منه الأنفس ...

ربما أنا الشاب الميمون الوحيد أو مثلي قلة قليلة ممن نجا من مجزرة قرينتنا (عمر كان) حيث اقتيد شباب القرية في نهار تموزي لافح من الذين استباحوا نهاراتنا بكل سوادهم الكالح ... ولولا أنني كنت خارج القرية ما نجوت ... إذ أخبر المثلثون من خسيبي قرينتنا الغرباء بهويتنا التي لا نخجل منها ...!!!

سألت والدي التي تنوح كلَّ ليلة على أنين نوح أم بشار التي صارت أيقونة حزن تجمّع النازحين في كردستان ...

- لم يا أمي تنوحين كل ليلة مع أنين المفجوعة أمّ بشار؟

نظرت أمي إليّ نظرة المستغربة ، ولم تجبني ، بل التفت لمصدر  
أنين المفجوعة وانشغلت بدموعها ...

حينما قضت والدتي كفايتها من الدموع ، نظرت إليّ وجفونها  
ملاى بالحزن :

- يا ولدي أنا أبكيك في أنينها ؛ لأنّي كل ليلة كنت أفزع من  
كوابيس خطفك ... أو قتلك ... أو تعرّضك لا سمح الله إلى شرّ  
الغزاة ... أنت لا تعلم كيف عشناها تلك الليلة التمزوية حين  
اقتادنا الطارئون إلى مدرسة القرية وبدأوا يصنفونا على أساس  
الموالة ... وكيف توعدّوا أباك حين التمسهم بتسريحه وأنا معه  
حين أخبرهم أنه رجل كهل وزوجته عجوز مريضة ...

وهل تعرّضوا الكما بالأذى؟

- لم نكن نهتمّ لأنفسنا ، بل كنّا نهتمّ بما يمكن أن يحلّ  
بشباب القرية ... فبحمد الله كنت خارجها في ذلك اليوم ، لكنني  
رأيت بأمّ عيني كيف همس المثلثون من جيرتنا بأذن كبير الغزاة

كان يا ما كان في قرية عمر كان

في قريتنا ونظر بعينه المليئة بالبغضاء إلى الشاب الوسيم (بشار)  
فأشار برأسه المعصوب بعصابة سوداء كالحة ، وكأنه غراب عليل  
، إلى زمرته فتوجّه بحقد إلى بشار وسحلوه من ساقيه أمام عيني  
أمه التي لم تألف بعد ذلك غير الحزن ... حينها تصوّرتُ أنك من  
ستسحل محلّه أو معه ... فكنت أواسيها بالبكاء وكأني المفجوعة  
بك ... يا ولدي ! لقد توعدنا كبيرهم بعين جارحة ( إياكم أن  
تكونوا في القرية صباحًا ) سيحوا قبل الصباح ، وإلاّ كنتم ما  
ترون من عقاب ... اذهبوا الآن بلا عودة ...

احتضنتني أمي حزنًا بالغًا وأجهشت بالبكاء وكأني فعلاً  
أُخِذْتُ من بين يديها ... لحظات وإذا بنساء التجمّع يجهشن  
بالبكاء :

- بشار !!!

- عليّ !!!

- محمّد !!!

- حسين !!!

## قصص قصيرة

- حسن !!!

- عبد الله !!!

...

...

...

حين ذلك أيقنت أن نساء قريتنا ، وإن لم يفقدن أبناءهنَّ حقاً  
لكنهنَّ مررن بحالة الفقد حين رأين الشباب يُقتادون كالتطيع إلى  
مجازرهم ... ومنذ تلك الليلة صرت أبكي بشار كنساء النازحين  
؛ لأنني بدأت أرى فقد الأمهات وهنَّ بيننا ...

**زراعة الكره**



كان يا ما كان في قرية عمر كان

لم نكن نشعر بأننا من أشجار مختلفة إلا بعد أن حلّ بيننا  
فلاّحو البغض والكراهة ؛ ليعبثوا ببساتين غرسنا ، فكنا قبل حلول  
ذلك الظلام الدامس المتجمّع من أصقاب شتّى ؛ نتقارب وكأننا  
أغصان تتفرّع عن شجرة واحدة اسمها ( قرية عمر كان ) ...

في صبيحة اليوم الثاني من شهر تموز اللاهب من عام ٢٠١٤  
ارتفعت حرارة القرية بشكل غريب عجيب ، ولم نعلم أنّ سبب  
ارتفاع درجة الحرارة في ذلك اليوم البائس ؛ هو اقتراب أقدام  
حصب جهنم من بيوتاتنا الآمنة ... إذ تفاجأ الجميع بتطويق  
القرية من أناس أغراب ، على الرغم من رفعهم رايات كُتب  
عليها ( لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ) لكنّ سلوكهم كان على  
خلاف ...

كنا نعتقد أنّ أغصان شجرتنا الواحدة ستلتف على أيدي  
المتسللين ؛ لتقطعها وتمنعها من أن تحوز على بعضنا دون بعضنا  
الآخر ... لكن للأسف ، وأقولها بمرارة قاتلة ؛ كان الأمر خلاف  
ذلك ، إذ دلّ بعض جيرتنا من أهلنا علينا بحيث كان منهم من

يشي بنا ،... لا أستطيع أن أذكرهم بالمسمى المعروف ؛ لأنّي ما زلت أحفظ العشرة التي كانت بيننا ، نعم ، لم يكن جميعهم على هذه الشاكلة ، ولكن أقولها بحسرة : كان أغلبهم من تلك الشاكلة ، بحيث كانوا يوشوشون بأذان الطارين ، وعلى إثر وشوشتهم صار ما لا تُحمد عقباه :

اقتادوا بعضنا ولاسيما الشباب بعيداً عنا ، وبطريقة وحشية تنهدم لها القلوب ، ومنذ تلك اللحظة وإلى يوم الناس هذا لم نعلم عنهم شيئاً ، وكان نصيبي منهم خمسة مخطوفين : ثلاثة أبناء ، وإخوان ...

- ما بقي منّا ، من رجال كبار وعجائز وأطفال ، اقتادونا سيرا على الأقدام ليلقوا بنا في سهل نينوى وشدّدوا علينا ألاّ نقرب وإلاّ سيقع فينا ما يقع في المتجاوزين ...

- قدّموا الاعتذار للعوائل الأخرى ، وسرّحوهم ، أقلّوهم إلى بيوتاتهم معزّزين مكرّمين ...

على هذا النحو تغيّرت ملامح تفكيرنا تجاه بعضنا ، وانبثق

..... كان يا ما كان في قرية عمر كان

منذ ذلك الحين ثمار البغض والكره ، وصار بيننا حاجز لا يمكن أن يُهدّ ، بحيث نمت على ألسنتنا كلمات لم نكن نعرفها من قبل ... كلمات تنتمي إلى قواميس الطائفية ، ومعجمات الكره التي لم نألّفها من قبل ...

هكذا زرع الطارئون ملامح الكره في وجوهنا نحن أهل القرية الطيبة ( قرية عمر كان ) ، ونمت في دواخلنا ثمار البغضاء ، حتى صرنا أغصاناً متنافرة وكأننا لا ننتمي إلى شجرة واحدة ، وصار بستاننا على نحوين .

بتنا هكذا ؛ للأسف ، بعد أن كُنّا أغصاناً لشجرة طيبة واحدة لا تُثمر سوى التقارب والمحبة والتلاحم ...



معادلة  
( الأنفاق أو الذبح )



كان يا ما كان في قرية عمر كان

كنّا نقرأ عن الطوامير التي ابتكرها جزّارو العصور البائدة ،  
وكيف كان يمرّ الوقت فيها دون الشعور بالليل أو النهار ، هذه  
المشهدية غزت رأس العراق وكتفيه حين حطّت على أغصانها  
خفافيش الطارئين ... هكذا كان يروي لنا الصديق أحمد خلف ؛  
الابن البار لقريته الجميلة ( عمر كان ) إذ حلّ علينا في ( ميسان )  
الجنوب أخاً عزيزاً ، فهو رحل عن قريته الشمالية المتاخمة للموصل  
نكاية بما أراد نشره الظلاميون من غيوم ضبّبت رؤى الناس هناك  
...

كانوا ٤٠٠ شخص أغلبهم من الشباب النقي ، والباقي  
من المراهقين الذين لم يكن الاستقواء من ملاحظهم ؛ فالطارئون  
يعتقلون من تثبت عليهم تهمتي :

- ( الانتماء ) ...

- ( السيرة الحميدة ) ...

أمّا من يجدون فيه ضالتهم : حيث اللانتماء ، و الاستعداد

لفعل أي شيء من أجل إشباع غرائزهم المادية والجنسية ،  
فيحتضنونه ، ويقدمونه ، ويجعلونه في صفوفهم وربما الأولى منها  
...

هؤلاء الـ ( ٤٠٠ ) شاب ومراهق من أنقياء قرية ( عمر كان  
( توزّعوا على مسارين :  
- حفر الأنفاق ...  
- الوقوع تحت سنان الذبح ...

فمن يميل إلى حفر الأنفاق ، يذبحه تأنيب الضمير ، فما  
تلك الأنفاق إلا إطالة لعمر المحتلّ ، وتقصير لعمر القرى والمدن  
المتاخمة لأماكن تلك الأنفاق ؛ إذ كان يعمل الطارئون على التسلّل  
عبرها لتوسيع رقعة انتشارهم ، ونثر عدواهم على بقاع الأرض  
، وتأمين فلولهم ، ومعدّاتهم من ضرب القوات الأمنية الساعية  
لمحو وجود هذا الكيان الطحليبي عن أرضه الزكية ...

ومن يحاول أن ينطلق من أصله الطيب ، ويرفض حفر  
الخنادق ، فستعمل سكاكين الذبّاحين من فلولهم للحفر في

كان يا ما كان في قرية عمر كان

أعناقهم ، وما يزيد المشهد قساوة ، أن ذلك الذبح لا يتم على عجل ؛ ليرتاح الرافض لأوامرهم بعد ثوانٍ من المعاناة ، بل يعملون على تعذيبه ، مادياً ، ونفسياً ، حتى يتمنى الذبح ولا يجده ، وحينما يتم الذبح فلا يكون بحدّ السكاكين الحادّة ، بل يكون بحدّ صفائح العلب المعدنية الفارغة ، أو بالسكاكين العمياء التي يتوسّل الجلد بنصالحها كي تقدّه دون جدوى ، بهذه المشهدية المروعة ينتقل المعارضون لأوامرهم إلى دار السلام الأبدية ولكن بعد معاناة مع سنان الطارئین العمياء ...

هكذا روى لنا ابن حميد قصة شباب قريته ( عمر كان ) .

- وهؤلاء الـ ( ٤٠٠ ) لم يكن عددهم هذا ، بل كانوا أضعافاً مضاعفة ، ولكن هذا العدد هو عدد المغلوبين على أمرهم ممن ارتضى أن يحفر الخنادق على مضض خشية أن يمرّوا بدوامة الذبح التي لا ينالونها بسهولة بحكم أساليب التعذيب الوقحة التي يمارسها الطارئون بحق من تثبت عليه التهمتين السابقتين اللتين تعدّان مسلّكاً نحو محطّات عذاب لا تنتهي ...

صمت ( ابن حميد ) قليلاً وهو يقصّ علينا بشاعة معاناة من بقي من المخطوفين ولاسيما ال ( ٤٠٠ ) ... جذب نفساً عميقاً ... ثم التفت إلينا وهو ينظر بعينٍ حادة يملؤها رقرق الدمع ... فهمنا منها ألماً مكبوتاً لا تطيق حملة الجبال :

هؤلاء ال ( ٤٠٠ ) على الرغم من مخالفتهم مبدأهم بضرورة مخالفة أوامر داعش ، وبقبولهم حفر الأنفاق ، كرّمهم الطارئون بالحياة في سراديب بمواصفات الطوامير ، بحيث لا يعرف المحتجزون فيها ليلاً من نهار ، وحتى فرصتهم الوحيدة لرؤية بصيصٍ من ضوء حينما يقتادونهم إلى مواضع حفر الأنفاق ، فإنهم يبقون تحت الأرض عابرين المسافات من نفق إلى نفق ، وكأنهم كائنات جيولوجية تستبطن طبقات الأرض لحياتها ...

هكذا هي معادلة ( الأنفاق أو الذبح ) التي عكّر فيها ( ابن حميد ) تعللنا ، بحيث أخذ كل واحد منا نصيباً من الهم إلى بيته ، واحتضنه ونام ...

**قرية الخوف**



..... كان يا ما كان في قرية عمر كان

ليس هيئاً على المرء أن يترك مرابع صباه ؛ لأن كل شبر فيه  
يربطك بضحكة أو دمعة ... حتى الدمعة فيه مُحاطة بحنين غريب  
يجعلها في ذاكرتك بنكهة اللذة .

( عمر كان ) قريتي ومرابع صباي التي كلما مر اسمها على  
مسامعي انتقلت إلى حيث نداوة الأهل والأحبة وذكريات الماضي  
الحميدة على قساوتها .

لم أكن أعلم أنّ سابع أشهر السنة الكبيسة بالحنن ٢٠١٤  
كان موعداً مع الفراق المرّ ، والرحلة إلى أقصى الجنوب من دون  
تخطيط ؛ إذ ساقطني المشيئة الإلهية أن أترك القرية لأزور العاصمة  
بغداد قبل يوم من سابع الشهور ؛ لأمر كان هو منجاتي من حيث  
لا أشعر ، إذ وردني اتصال من والدي المقعد :

- ولدي أحمد لا تقدم إلى البيت إذ غزت قريتنا خفافيش  
الظلام !!! .

لم أقو على إجابة أبي بشيء ، على الرغم من توقيري الشديد له  
؛ إذ لم أتمالك الشجاعة الكافية في أن أسأله للاطمئنان على أهلي :

أمي ، أخواتي ، إخوتي ، بقية ذراري الأسرة من الأطفال و الفتيان  
والصبيان ...

بقيت حائراً و تتسوّرني جدران الدهشة ، و تطرق على رأسي  
مطارق الظنون ، و الخوف ، و الأوهام الكابوسية ؛

- ما حال أهلي !؟

- ما حال قريتي !؟

- ما حال بلابل بساتيننا العامرة بالزقزقة !؟

كان نهاري التموزيّ بلا شمس في ناظري ؛ على الرغم  
من شمس بغداد الحارقة في هذا الشهر الجهنمي ؛ إذ لم أتخيّل في  
صباحات بغداد سوى الغيوم الداكنة ، و ملامح الخفافيش الكاتمة  
على أنفاس ( عمر كان ) تلك القرية الشمالية التي لا تعرف سوى  
لغة العصافير ، و مصافحة البلابل ، و مجالسة السحاب الأبيض ،  
و في كثير من المواسم رذاذ المطر الماسح لكلّ حرّ فيه ...

على حين غفلة من خوفي أمسكت بهاتفي لأتصل بصديقي لي  
كي أطمئن على أهلي و أحبتي هناك ؛ لأنّ القلق أكل ملامحي حتى

..... كان يا ما كان في قرية عمر كان

لم أبدُ للناس إلاّ كشبح مهزوز ....

يا ليتني لم أتصل ...

يا ليتني لم أخالف حكمة خوفي وتركت الاتصال بصديقي

اللدود !!! .

نعم اللدود !!! صار كذلك من الساعة التي تبجّح وأجابني

فيها وعباً مسامعي بقهر سرمدى لا تنتهي أناته ما حبيت ...

نعم اللدود !!! لأنّه أطاح بما بقي من ملامحي التي اضمحلت

لدرجة لم أعد أرى وجهي في مرايا واجهات المحالّ ببغداد

العاصمة على كثرتها ... حتى زجاج السيارات التي تخطف من

قربي لم أجد شكلي مطبوعاً على سطوحها ...

يا لفاجعتي التي أركسني فيها صديقي اللدود حينما أخبرني

أنّ ( الطارئين ) قد دنّسوا براءة قرينتنا العذراء ، ولطّخت حوافر

تعساتهم بياض تربة ( عمر كان ) التي لم تألف خطوات العتمة

... إذ أخبرني بجمل لم أندم على سماع مثلها منذ ولادتي ؛ أنّ

الكالحين صاروا حكّاماً لقرينتنا المفعمّة بسُلطان المحبّة ، وأخذ من

نوارسها ٢٦ شابًا لا تقوى الملائكة على منافسة سحتهم ، أخذوا خيرة شباب قريتنا ، لا لجرم ارتكبه سوى أن سيرتهم حميدة ، وسجلهم مليء ببطولات الولاء للوطن وللدين ، وأقل نورس فاخر فيهم كان ينتمي إلى أسرة محمودة السمعة ، ومسجل عليها في سجلات الجزارين سلوكيات لم يرتضوها لا لشيء إلا لأثمهم آمنوا بخارطة لا يعرفها المجرمون ، إنها خارطة الانتماء للعراق ، وخارطة الانتماء للدين الحنيف.

سألت صديقي اللدود عن أبي ، لآتي أعلم أنه لم يُقعد إلا عن شجاعة سرقها جزّارو النظام البائد حين أجمهم ببسالته وعنفوانه ، كان لا يخشى أزالامه من الأشرار ، فهل ستره يخشى أزالام بقاياها من الطارئين؟! من المؤكّد لا ، فهو سيردّ حتما ... وصعقني ردّ صديقي اللدود حين أخبرني أنّ خفافيش الظلام ضربته بـ (أخمس) بنادقهم حينما وقف بوجههم وسعى لمنعهم من تقييد نوارس القرية الطاهرة الـ (٢٦) ...

بقيت مشرّداً في عاصمتي لأيام حتى استطعت أن أستقدم ما

كان يا ما كان في قرية عمر كان

بقي من عائلتي لأرحل إلى ( ميسان ) البطولة في جنوبنا الحبيب  
... ومن هناك كنا نتبع أخبار أخويّ الاثني وابن اختي المراهق  
الذين كان في سرب أولئك النوارس الـ ( ٢٦ ) ممن خطفتهم  
الخفافيش الكالحة... وللآن لم نقف على خبر أو أثر لهم ، وغابت  
عنا آثارهم دون رجعة ، لكننا ما زلنا نأمل أن نلقاهم على حين  
توفيق ربانيّ، كما غابوا عنّا على حين مكيدة شيطانية ...



**منازل بلا أبواب**



كان يا ما كان في قرية عمر كان

أن تدفن نفسك بين أكوام القش حياً ؛ مخافة أن ينالك حدّ  
الخفافيش ، هُوَ فعل غريب جدًّا ، لكنّه لم يكن غريبًا على أهل  
قريتنا الوادعة ( قرية عمر كان ) ، بعد تموز عام ٢٠١٤م المشؤوم  
... إذ بعده تغيّرت كثير من ملامح القرية وأهلها ، إذ غادرت  
بساتينها حوار المواشي ومشاكسات الديكة ... أما كلاب حراسة  
بساتينها فلم تعد أليفة ، فهي اعتادت النباح ليل نهار ؛ بسبب  
غزو الغرباء أزقتها وسككها ... حتى نفذ من أفواهاها الصوت  
... فألفت الغريب بعد أن كانت يستفزّها ... فتجده يتنقل بين  
أنحائها ولا نباح يعترضه ، وكأن الكلاب أصابها العمى ...

كنّا قبل هذا (التموز) نسمع صوت الخراف فجراً وهي  
تتمشى بأمان خلف راعيها ... أمّا اليوم فلم نعد نسمع ذلك لأنها  
خُطفت كشباب القرية الأقمّار نحو مجهول لا يعلمه إلاّ غربان  
الطارئين المدمنين على ظلام الأمكنة كظلام قلوبهم ...

توشّت القرية بسواد كالح كسواد ثيابهم ، وتكوّرت الهموم  
على سمائها كتكوّور عمائمهم العمياء ...

كانوا غرباء كالغربان لا تعرف لتصرفاتهم قانونا ، فهم  
أمروا أهل القرية بترك الأبواب مشرعة ، ومن يخالف ذلك ينال  
العقاب العسير ...

بربِّك !!! هل رأيت بيتًا بلا باب موصدة ؟!

هكذا غدت القرية بلا أبواب ... تنتهبها الريح ... الأقدام  
... القوارض البشرية والحيوانية ... تدخلها جهراً بلا حاجة  
لخلسة قدرة ... لا ترعوي عن حرمة بيت ، أو حجاب نساء ، أو  
كرامة رجل ... أرادوا أن يجعلوا الناس بلا كرامة ... بلا حجاب  
... بلا حرمة ... رغماً على الأعراف جميعها ، والقوانين ...

في يوم من أيام تلك المحنة كنت في حمام البيت ... والباب  
كعادته مشرعاً وبلا صوت ... إذ نسينا صوت صليله حين الفتح  
والغلق ، ولما خرجت أحسست باضطراب في زقاق المنطقة ...  
فمددت رأسي على حذر ؛ خشية أن يناله شرر ، فرأيت رجلاً  
يرفس على الأرض وهو يعالج أنفاسه الأخيرة ، هممت بأن  
أخرج لإنقاذه ، لكنني تفاجأت بحركة خلفي ، وحينما التفتُّ

كان يا ما كان في قرية عمر كان

وجدتُ بعض الطارئين قد دخلوا بيتي على حين غفلة مني ،  
فابتعدت عن الباب لأنهم لا يتورعون عن فعل أي شيء سواء  
كان هيناً أو جسيماً ...

وحينما هرولوا خارج البيت ... تتبعتهم بنظري ، فرأيتهم  
يتجهون نحو الرجل الذي بات جثة هامدة ... التفت أحدهم  
نحوي ، ووجه البندقية باتجاهي ، فأسرعت إلى داخل البيت وأنا  
أتنفس الصعداء إذ ربما يفعلون بي ما فعلوه قبل قليل بالرجل  
المسكين الذي لم أحزر جرمة حتى توسد الثرى ... ولكن أغلب  
الظن أنه خالف بعض قوانينهم التي لا يمكن حفظها ؛ لشدة  
تلونها ...

حاولت أن أختبئ خلف أي شيء ، فلم أجد أي شيء !!!  
لأنهم جرّدوا بيوتنا من أشياءها كما جرّدوها من نعمها وأنوارها  
وأهلها ...

بقيت على هذا الحال والهواجس تأكل مخيلتي وقتاً ليس  
بالقليل ... والمشكلة أن دليل الخطر خافٍ ، نعم خافٍ جداً إذ

غاب صليل الباب الذي ينبئ بالداخلين إن دخلوا ، لكن ذاك  
أصبح شحيحًا ، فأبو ابنا مشرعة خائفة من الصليل ...

**اللافتة القاتلة**



كان يا ما كان في قرية عمر كان

الناس تتبادل المحبة والمشاعر الطيبة بوسائل مختلفة ، ولعلّ  
اللافتات أهمّها ، وربما كانت وسيلة للعزاء أو استذكار عزيز ...  
هذه الوسيلة التي تحوّلت بين ليلة وضحاها إلى آلة لحصد أرواح  
العشرات ... صارت حدًّا حادًّا للذبح ، ونحر البشر ... ومن ذا  
وذاك بات العباد يتنصّلون عن لافتاتهم لا لشيء إلا لتوقّي شرّ  
عواقبها ...

هذه المشهدية العجيبة صارت علامة فارقة للافتات قرية ( قرية عمر كان ) الغافية على خاصرة نينوى ؛ فأغلب أهالي هذه القرية من الموالين ، ويعبرون عن عاطفتهم الجياشة مُجَاه البيت الهاشمي المبارك الشريف بلافتات تُحطّ عليها عبارات الولاء ... والأعجب من هذا كلّهُ أنّ أكثر عبارات اللافتات تلك هي عن طريق شعار راية القتلة ... أعني الطارئین :

**لا إله إلا الله  
محمد رسول الله**

واللافتات التي يعلّقها أهل قريتي مستمّدة من أقوال المذكور

في العبارة الأولى وأقصد ( الله جلّ جلاله ) ، أو من أقوال المذكور  
في العبارة الثانية وأعني ( رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم  
( ... فاللافتات ؛ إمّا آيات قرآنية مباركة من سور القرآن المجيد  
... أو أحاديث شريفة عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله  
وسلم ...

فمنذ أن وطئت أقدام الظلاميين وأذناهم أرض قريتنا  
الهادئة ( قرية عمر كان ) صارت المجاهرة بأقوال الله سبحانه  
وتعالى ونبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم جرماً يعاقب  
عليه قانونهم المختلف عن جميع القوانين البشرية والسماوية ؛  
والأغرب من ذلك كلّ مرتكز قانونهم الكبير ( جنناكم بالذبح  
( ...

وكان إمام مسجد القرية وخادمه ، وهما الرجلان الوديعان  
الطيبان ، أولى ضحايا اللافتات القاتلة تلك ؛ إذ كان منتها الطيب  
مدعاة لنحرهما :

نصر من الله وفتح قريب ... هذه الآية المباركة أوضحت حدّاً

كان يا ما كان في قرية عمر كان

لنحر من ذكرناهما ومن وقف معها بحسب وشاية الواشين ،  
ليس لشيء إلا لأنها علقت على جدران مسجد القرية ، وارتبطت  
بذكر سبط النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ...

حسين مني وأنا من حسين ... هذا الحديث النبوي المبارك  
على ذكر قائله آلاف التحايا والسلام أيضًا كان حدًا ناجرًا الرقاب  
الموالين الذين علّقوه أو ارتضوا بتعليقه على جدران المسجد  
المذكور ولاسيما إمام المسجد وخادمه ومن اشتراها ومن علّقها  
... هذا الحديث الذي تواتر الفريقان على روايته ، أضحى بعرف  
الظلاميين جرماً يستحق المؤمن به النحر والذبح على رؤوس  
الأشهاد ...

وفي مداهمة الغزاة لبيت الحاج علي على إثر وشاية ، نُحر  
صاحب الدار وزوجته الحاجة أم علي لأنهم وجدوا في ألبوم  
صورهم لافتات قاتلة أيضًا ... فالمنحوران وقفوا في لحظة من  
لحظات الزمان الولائية في مجلس عزاء موالٍ ، وكان خلفها  
لافتات مكتوب عليها عبارات الولاء ... فصار في عرف الطارئ

أنّ اللافتات الولائية آلات نحرٍ سواء أ كانت حاضرة في الواقع  
المعيش أو في الذكرى ؛ ليكون الذبح بأثر رجعي ...

الذبح بالكلمات



كان يا ما كان في قرية عمر كان

في إحدى الأمسي التي كنا نتعلل فيها عند أحد الأصدقاء ؛  
لنبلل أوجاعنا ببعض الكلام الندي ، وكان برفقتنا صديقنا المهجر  
من القرية الشمالية الوادعة ( عمر كان ) الذي كان يحب أن نناديه  
بـ ( ابن حميد ) بفتح الحاء لا بضمها كعادتنا نحن أبناء الجنوب ...

كان التعلل في الليالي عادة عراقية لا ينفك عنها الشباب  
والكهول ؛ ليخففوا عن كواهلهم ما أثقلها من تعب السنين ،  
ولاسيما سنين الوجد والألم حين انتشرت فلول الكالحة أثوابهم  
كطحالب وأشنات على رقراق الموصل وما حازها من قرى ومدن  
ومحافظات ، حتى باتت بغداد قاب قوسين أو أدنى من شرهم  
الذي يحرق الأخضر واليابس إن مس أرض أي بلد ...

وبينما نحن في ظلّ حديث يسعى إلى تلطيف الأجواء ،  
ويقودنا إلى حيث الخضار الندي ، والسحب البيضاء المتخمة  
بالرذاذ الطيب ، رنّ هاتف ( ابن حميد ) ؛ ليبدأ الجو بالتغيّر نحو  
الكدر والخوف ؛ إذ بدأت ملامحه تتغيّر كلما استمرّ الهاتف بالرنين  
، حتى أخذ كفه بالارتجاف بشكل أشفق الجميع عليه ...

كان الصمت سيّد الموقف ... ولا صوت غير رنة الهاتف  
التي سمّرت أسمع أحمد وناظريه بهلع ...  
حاولت كسر المشهد ، فاستجمعت قواي ، ووجهت كلامي  
إلى أحمد :

- ردّ يا أخي فقد (بيّست) أفواهنا !!!  
لم يكن من أحمد إلاّ أن نظر إليّ نظرة وجلة ، وأدار شاشة  
الهاتف نحوي بارتجاف .

لم أر سوى رقم غريب !! غير معرّف ...  
لم افهم حركة أحمد هذه ، والمبالغة في الهلع الذي انتابه ...  
حين انتهت رنة الهاتف ... تنفّس المجلس الصعداء ... لكنّ  
الصمت بقي سيد الموقف ...  
ربما كنت أشجع رجل في المجلس ؛ لأنّي وجهت جملة أخرى  
لأحمد :

- يا أخي كلنا ترنّ هواتفنا باتصال رقم مجهول ، فلم هذا

كان يا ما كان في قرية عمر كان

الخوف؟! ...

كان لجملتي هذه وقع كبير على مسامع أحمد ، إذ نفرت من

عينيه دمعة حرّى ، لم أفهم سببها إلا حين هدأ قليلاً ، وقال لي :

- يا أخي إنَّ الرقم المجهول الذي يرنُّ علينا نحن المشرّدين

من قرّانا ومُدننا في الموصل يعني واحد من ثلاثة :

- الاتصال من طارئ خبيث يمارس دور الجزّار ؛ يخبرك

بأن عزيزاً عليك قد تمّ ذبحه !!! ...

- الاتصال من خبيث آخر يمارس دور الطيّب ؛ لينكأ

جرحك ويخبرك أن المخطوف من أهلك ما زال حيّاً ولكن لا

يستطيع أن يخبرك بمكانه وحينها تعاود الاتصال به تجد هاتفه

معلّقاً ، فيربطك بأمل كاذب لا تنتهي مواجهه !!! ...

- الاتصال من خبيث بثوب مغاير يمارس دور الشرير ؛

فينقل إليك أخباراً بشعة لا تقوى على سماعها عن ابنك أو أخيك

أو أبيك أو عزيز من أعزّتك !!! ...

سكت أحمد ، لكنّ دموعه لم تسكت ... عاد الصمت إلى

المجلس ، ولم يقطع صليله إلا زفرات أحمد وأناته الحارقة ...

التفت إلينا وقال :

- أنا لم أجب لأنني مذبوح بالردّ لا محالة ، فالأدوار الثلاثة التي يمارسها ضدنا الطارئون ، هي معاناة جديدة يضيفها لنا جيشه الأصفر من المحاربين النفسيين ، فمن خطفوهم يذبحونهم بحدّ السكاكين ، أما نحن فنتلوّى هنا بذبحهم إيّانا بحدّ الكلمات .

**نزہة فمحنة**



كان يا ما كان في قرية عمر كان

كأي شاب كان (رشيد) ذاهبًا إلى المصيف في شمال العراق  
... إذ طالما حثته أمه على الذهاب لشعورها بضرورة ذلك ، لكنها  
لم تكن تعلم أن تلك النزهة هي مفتاح الغياب الأبدي ...

جمع (رشيد) حاجيات المصيف ليذهب إلى أربيل ذات الجو  
الربيعي حين يغزو الصيف بقية أجزاء العراق ... لم يكن يعلم أن  
في غيابه سيغزو الطارئون قريته الطيبة (قرية عمر كان) وأحوالها  
بياضها المشع إلى سواد كالح بفعل سراويلهم القاحلة الطافحة  
بالعتمة ...

حاول الاتصال بأهله مرارًا في اليوم الواحد ... هم بالعودة  
على الرغم من مخاطر الطريق والقرية المنتهبة ، لكن غلق الطرق  
كانت الحائل الوحيد ...

وبعد عدة محاولات رنّ الهاتف على أهله ، وكان يتربّب  
الجواب بلهفة وخشية ... انتهى الرنين من دون ردّ ... حاول  
مجددًا لكن الهاتف مغلق؛ فازداد قلقه لتقلّب حال الهاتف بين  
رنين وغلق ...

## قصص قصيرة

زادت حيرة رشيد وتاه في فكر غير رشيد ، وأخذت  
الهواجس تغزو مخيلته ... تخيل أشياء مخيفة ، ومؤلمة ، ولم يخطر  
على باله أمر حميد بل كانت وساوسه قائمة كقلوب الطارئين ...  
واستمر الحال أيام ، حتى فز رشيد على صوت رنين هاتفه  
، وحين نظر إلى شاشته وجد عليها ( والدي ) فهرع للجواب :

- ألو

- أنا أمك رشيد

- أهلا حاجة ! قلبي عليكم يغلي ...

- ترتفع همهمات بكاء من أمه :

- ما به أبي يا أمي ؟! لا تخبئين عليّ شيئاً لأنّ الوسواس

يلعب بذهني !!!

- يا ولدي أبوك معتقل

- أستحلفك بالله ألم يقتلوه !!!

- لا لا ادعُ له ...

كان يا ما كان في قرية عمر كان

ينقطع الاتصال ، ويبقى رشيد في حيرة من أمره ، وكلما  
يحاول الاتصال لا يؤمن الهاتف اتصالاً ...

حاول الاتصال بجيرانهم ، والحال كذلك : لا يؤمن الهاتف  
اتصالاً ...

في يوم من أيام المصيف الأسود كان رشيد يتمشى على غير  
هدى وهو مشغول البال على أهله ، وكذلك على نفسه ؛ لأنّ ماله  
بدأ ينفد ، والناس هناك لا يعرفونه وليس لديهم استعداد على  
مساعدته مجاناً ... وبينما هو كذلك يرمق شخصاً كأنه من شباب  
قريته ، يهرع إليه مسرعاً ، يقترب منه ، وإذا به محمد جيرانهم :

- محمد !! محمد !!

يلتفت إليه ، وإذا به يرى جاره (رشيد) ، وقد تغيرت ملامحه  
من كثرة الهمّ والتعب ...

يقتربان ، يتعانقان ، تصدر من كليهما همهمات بكاء :

- محمد متى قدمت ؟

## قصص قصيرة

- قبل يومين
- أين كنت؟
- في القرية .
- وكيف نجوت من سكاكينهم!؟
- ربك ستر ، المهم القصة طويلة وأكد أقصّها عليك ...
- قبل كل شيء أمي ، أبي ، كيف تركتهم!؟.
- يطرق محمد أرضًا ... يمسك رشيد كتفي جاره ويتوسّل إليه أن يخبره بحالهما ...
- لا تسكت محمد قل لي برّبك !!! فقلبي يغلي عليهم نارًا
- ...
- لا تضعف يا رشيد وكن قويّ العزيمة .
- بالله عليك قل لي أيّ شيء ، ولكنى نقل لي أنهم قُتلا
- !!!؟
- البقاء بحياتك

كان يا ما كان في قرية عمر كان

- لكنني قبل يومين كنت أتحدّث مع والدتي وقالت إنّ أباك  
معتقل!!؟

- صحيح ، وأفرجوا عنه وعن الذين معه وتقريباً جان  
عددتهم سبعة أشخاص ، لكن جيرة السوء كانت سبباً في الفتنة،  
إذ وشوش أحد خفافيش الشرّ في أذن أحد قيادات الطارئین  
فكانت وشوشته سكين ذبح أبيك ومن معه ... بباب البيت  
وحيثما خرجت أمك صارخة قتلوها فوق أبيك من فورهم ...

- للأسف لم نكن نعلم أنّ بعض الجيرة قاتلة!!! لا حول  
ولا قوة الا بالله العلي العظيم...!!!



شكرًا لصوتي



كان يا ما كان في قرية عمر كان

في زمان ومكان تسودانه البشاعة والقبح ، لا مكان للجمال  
حتماً ، هذه الفرضية التي أثبت فشلها محمد عباس ذلك (العمر  
كاني) نسبة إلى قرية عمر كان شمال آثار النمرود في الموصل  
السلبية - .

إذ يقصّ بقال سوق تلعفر الكبير المعروف بالحجي ؛ أنه  
استغرب من وقوف شاب متسخ الثياب ، معصوب العينين ،  
امام محله القاصي قليلاً عن السوق ؛ لأنّ واقع في أطرافه ، وانتابته  
مشاعر الخوف ؛ لأنهم في ذلك السوق تعودوا على الأحزمة  
الناسفة .

يستمر الحجي بقصّ تلك الحادثة الغريبة التي لم يصادف  
مثلها قبلاً ؛ إذ كان ذلك في أوائل غزو الطارئين لأرضهم الطيبة

...

إذ يقول الحجي :

انتبهت لشفاه المعصوب العينين ، فوجدته يتمتم بكلمات  
منعتني المسافة بيني وبينه من سماعها ، فزاد ذلك خوفاً ، لأننا

اعتدنا على سبق تلك التمتمة على دوي الانفجار بوقت قصير ،  
فاستسلمت لمصيري وتشاهدت ، وانتظرت ارتفاع الدوي ؛ لأنني  
كهل كبير السن لا أقوى على الهرب بعجلة حتى اتوقى شظايا  
الانتحاري القادم من المجهول ...

بقيت أنتظر وأنا أترقب ، لكنّ المعصوب بدأ يرفع العصا  
عن عينيه ، ويمسحها بكفيه ، وبدأ يقلب ناظره يميناً وشمالاً ،  
فأثار موقفه هذا دهشتي ، وتساءلت مع نفسي :

إن لم يكن انتحارياً فمن يكون يا ترى !؟

دقق نظره إليّ ، وأخذ يقترب مني ، على حين تغيرت  
مشاعري من الخوف إلى الفضول ؛ لمعرفة من يكون هذا المجهول  
القادم من المجهول ...

نهضت من مكاني لاستقبله ، وهو ما شجّعه ليقترّب أكثر ،  
لم يلقِ التحية ، وقال ابتداءً :

هل أنا في تلعفر ؟

فأجبت : نعم ...

كان يا ما كان في قرية عمر كان

طلب الماء ، والطعام ، وكأته داخل على بيت أهله ،  
فاطمأنت إلى وضعه ؛ ونقل إلى الشعور بالأمان ، فاستعدت  
توازني ... وبادرت العطاء ، أسقيته ماءً ، وقدمت له طعامًا ...  
ولم أسأله أي شيء ؛ لأنّ الدهشة أخذت كلّ واحد منا ، ومرّ  
الوقت سريعًا ، حتى انتهى الشاب من أكله وشرابه ، تحمّد الله ،  
والتفت إليّ ، وكأنه استعاد وعيه ، فقال لي :

السلام عليكم حاج ...

ضحكت وقلت له :

وعليكم السلام ، ولكن لو أخرت السلام لغد لكان أفضل

...

فضحك الشاب ضحكة العطشان إلى المزاح ، ثم أجهدش  
بالبكاء بشكل هستيري ... وما كان مني إلا أن أترقب هداؤه  
؛ لأنني لا أعرف من هو ؟ وما به ؟ ومن أين قدم ؟ وماذا يريد ؟  
لم أسأله أبدًا ، لكنّه بدأ يسرد حكايته :

يا حجي أني من قرية ( عمر كان ) ، خطفني الغزاة أنا

ومجموعة من شباب القرية ، وكانوا يأمرونا بحفر الخنادق والأفئاق ، ولم نشعر بالأمان أبدًا ، فمن يخالفهم يُذبح ، ومن يوافقهم يُطمر ؛ لأننا لسنا ثقة لنظرهم ؛ فهم يصفوننا بالخوفاً والمارقين عن الدين ...

المهم يا حجي ... في ظل هذا القبح المستشري في أشكالهم وتصرفاتهم أنقذني جمال صوتي ... إذ استعانوا بي لأكون مؤذناً لأذانهم الذي أتقن كلماته ولكني لا استشعر معانيه ، فنحن نقول : الله أكبر ؛ لنمجد عظمة الإله الرحيم ، لكنهم يقولونها ليذبوا الأبرياء والمساكين الذين لا حول لهم ولا قوة ...

وكانوا يلقنوني كلمات لتمجيد فعلهم والدعاء لهم ... وبعد مرور وقت ليس بالقصير ، وللبالغتي في الأذان والدعاء قرّر قائدهم الإفراج عني ، وما كان ذلك إلاّ على أثر دعائي الصادق بعد كل أذان :

اللهم نجّني كما نجّيت يونس من بطن الحوت ...

هكذا بقينا بين بكاء وضحك نتبادل الحكايا حتى قارب

..... كان يا ما كان في قرية عمر كان

الوقت على الغروب فأخذت محمد عباس إلى بيتي لنكمل بقية  
فصول الحكاية، بعد أن يكفّر عن سيئات صوته بالدعاء لهم  
بالدعاء عليهم ... ويؤذن الأذان بصدق.



**وجع من يحيا بغير حياة**



..... كان يا ما كان في قرية عمر كان

ستتان ونصف السنة وأنا أطوف بين طامورة ظلماً وبيت  
خالٍ من الأحبة ... هكذا كنت أعيش في قريتي ( قرية عمر كان  
( منذ أن دنس الغرباء ذوو المعاطف الكالحة والعصائب العمياء  
...

فمنذ تموز الأسود من عام ٢٠١٤ م وحتى أواخر العام  
الأبيض ٢٠١٦ م كنت بين اعتقال ، وسجن ، وتحقيق ، وميت  
بيتي الذي بات غربياً عليّ منذ أن هجره الأحبة إلى حيث المنفى  
الوطني الإجباري خارج قريتنا الأليفة ...

في صباح تموزي لاهب انتشر الغزاة في أزقة قريتنا الآمنة  
وهم ينعمون بالطائفية والوعيد الجارح ... كل من يثبت عليه أو  
يُشتبه به موالياً يستحق واحداً من ثلاثة :

- الخطف بلا عودة ...

- السجن بلا راحة ...

- القتل بلا رحمة ...

وكنّا نحن الموالين بين خيارات ثلاثة أحلاهنّ مرٌّ ... فألهمني

الله أن أكون متجاهلاً لكل تهمة ... على الرغم من بشاعة المثلثين  
الذين كانوا يشون بنا بانتهاؤنا الروحية ...

قدّم الظلامي الأدلة للقاضي الذي كان يرأس محكمتهم  
الجاحدة :

- تربة ...

- مسبحة سوداء ، عدتها مئة حبة وحبة ...

- صورة لمزار ...

التفت القاضي بعين ملؤها الغضب :

- هل هذه الأصنام لك !؟

تمالكت نفسي واستجمعت شجاعتي :

- لا يا سيادة القاضي هي ليست لي ...

- ما الذي جاء بها إلى بيتك ؟

- أنت تعلم يا سيادة القاضي أن الوضع غير مستقر وكل

متهم يحاول أن يتخلص مما يدينه ، ومن المؤكد أن أحدهم تضايق

كان يا ما كان في قرية عمر كان

منها فألقاها في بيتي ...

يقاطعني الواشي :

- وهل ذلك المتضايق يرمي الصورة الراضية فتلتصق

بجدار غرفة بيتك بكرامة !!؟

يستحسن القاضي مباغثة الواشي ، ويتسم ابتسامة صفراء :

- أجب !! ...

- يا سيادة القاضي هي لم تكن معلقة بل موضوعة والفرق

بين الحالتين كبير ...

- كيف تؤذن لصلاتك ؟ ...

استجمعت ذاكرتي ، وأعاني الله فنطقتها بالضبط كما

يؤدونها هم ...

التفت القاضي إلى الواشي ...

- أعده إلى زنزانته ونظر في حاله لاحقاً ...

وبقيت على هذا الحال طيلة السنوات العجاف التي مرّت ما

بين اعتقال ، وسجن ، وتحقيق ، ومحاكمة ، وإفراج ، ووحدة في بيتي المليء بكل أنواع الحزن إلا الفرح ... كانت والدتي العجوز معي لكنها لم تعني على الوحدة بل كانت تزيدها بأنيها الليلي الموجه وبذكرياتها الجارحة ، كانت بين حين وآخر تذكرني بحنيني الذي لم يفارقني لأحبي ...

وما زاد ألمي أني كنت أمثل دورًا لا أحبه بين الغرباء ... كنت أظهر محبة لمن لا أحب ، وعدم محبة لمن أحب ... ربما كان وجعي بسبب ذلك أعلى من وجعي بسبب الفرقة وفقد الأعبة ... نعم إنها أوجاع الغربة التي ترتديها وأنت في وضوح حاضرتك وبين أهلك ، فهذا الوجد غريب لا يشعر به إلا من لامست جروحه ملح الشهادة ، وغطى جسده بلحاف من شوك وصبّار ... هي حياة من يحيا بغير حياة ...

**ضريبة الجيرة**



كان يا ما كان في قرية عمر كان

حكايتي لم يمرّ التاريخ على مثيلاتها ، ربما قاربته بعض  
الحكايا ، ولكن مثلها تمامًا لا أعتقد أنه حصل ، وأجزم أنه لن  
يحصل مثلها في ما بقي من التاريخ الذي لم نعشه بعد ...

ففي صبيحة يوم تموزي قانض من سنة المصيبة السوداء  
علينا نحن أهالي القرية المنكوبة في خاصرة نينوى الخضراء ،  
أعني ( قرية عمر كان ) وبالضبط عام ٢٠١٤ م ... أمطرت علينا  
غيوم التعاسة الحالكة رذاذ أسود سمّم أجواءنا بيزّاتهم المعتمة  
وعمائهم العمياء ...

لم يكن مستهّل حكايتي هو مربط القصّة التي زعمت أنّها  
لم ولن تمرّ على مفاصل التاريخ مثيلتها ... فالغزاة يتوالدون  
على مدى التاريخ من نسل شيطاني واحد ... نسل نفخ السواد  
بأرواحهم ؛ فباتوا ظلاميين كأرواحهم الدخانية ...

في ذلك العام الماطر بالأسى على ملامح قرينتنا الوديعة ...  
خرج من بين أهلنا الواشون ، نعم الواشون : الذين لم نكن نعتقد  
أنهم كذلك من قبل ، إذ كنّا كبعضنا ، نفس واحدة ، ولم نكن نعلم

أنا في جيرة تتقن التمثيل على مدى تأريخ طويل من التعايش المكذوب ... فأغلب المخالفين في ديارنا كانوا أفواه السوء التي تغدّي آذان الشرّ المزروعة على جانبي الظلاميين ؛ إذ كانوا لا يتلقّون إلاّ كلمات المصيبة ؛ ليمارسوا ألعيبهم الشريرة في أعناق الموالين ...

هتك الواشون ، وهم منّا كبعضنا ، حرمة بيوتنا ، وطعنوا في وجودنا ، وكشفوا أسرارنا الحميدة ؛ إذ لم نكن نخبئ شيئاً سيئاً ، فكلّ ما نسره نجاهر به في العلن ؛ لأنّ به ومنه الخير في الدارين ، فأسرارنا كلّها في الصادقين ... لكنّ تلك الأسرار لم تكن تروق للمتلونين الذين اعتادوا محاربة النور في رابعة الهداية ...

كان أولئك الوشاة معبراً لنهب أموالنا ، وطريقاً لسرقة خيرات بيوتاتنا وبساتيننا ؛ من مواشٍ وأنعامٍ وخيرات الله في أرضه ... بحيث غدت بعد وشاية السوء خراباً تصفر كالبلقع ، لا دجاج بين الحشائش ، لا خراف حول الضياع ، لا أبقار في الباحات ، لا كلاب حراسة ، فالكلاب ساحت في البرية لأنّها لم

كان يا ما كان في قرية عمر كان

تجد ما تحرسه بعد أن مارس الظلاميون في قرينتنا أبشع ممارسات  
النهب والسلب ؛ بمعونة بعض من كان منا كبعضنا ...

وحينما دارت الأرض بأهلها ، وصار الزمان لأهلنا طيِّعًا  
ببركات الزاحفين الميامين ... لم نمارس كعادتهم الوشاية لنهب  
بيوتاتهم ، بل كنّا حافظين لممتلكاتهم ، وراعين لأنعامهم ،  
ومدافعين عن حرمة دُورهم ، فكلّ جارٍ منا صار حارسًا لبيت  
جاره ؛ حتى الذين كانوا سببًا بقتل ذويه ، أو تهجير أعزّته ، أو  
تغيب أحبابه ...

حكايتي أيها الأحبة في تجاور الأضداد على متن قرينتنا الغربية  
... نعم باتت غريبة حينما دخلها الطارئون وعبثوا بسلوكميات  
أهلها ، فأحالوا الجيران إلى أضداد بعد أن كانوا مترادفين في  
المحبة وتبادل الطيبة ... صارت القرية بحلول فصل السواد  
على جوّين فقط ... جوّ الوفاء والحفاظ على الجيرة ، وجوّ الجفاء  
وهتك حصون الجيرة ... فكانوا ، وكنّا ... وشتان ما بين كينونة  
الجوّين ...



**دليل الوجع**



٥	مشتاق العليّ
٩	خيانة ، فمقرّ
١٥	رمضان المحنة
٢١	موعدكم الصبح
٢٧	زراعة الكره
٣٣	معادلة
٣٣	( الأنفاق أو الذبح )
٣٩	قرية الخوف
٤٧	منازل بلا أبواب
٥٣	اللافتة القاتلة
٥٩	الذبح بالكلمات
٦٥	نزهة فمحنة
٧٣	شكرًا صوتي
٨١	وجع من يحيا بغير حياة
٨٧	ضريبة الجيرة
٩٣	دليل الوجع

